

سفير هولندا في القاهرة نيكولاس فان دام يتابع اهتمامه بسوريا

العرب

اكتشفوا

ان السلام

سلاح اتوى

من العرب

يعد الدكتور نيكولاس فان دام حاليا الطبعه العربية لكتابه الشهير الصراع على السلطة في سوريا والذي ظهر قبل سنوات باللغة الانكليزية وفي هذا الكتاب يرى فان دام ان الرئيس الاسد يمثل مزيجا فريدا من المثالية والواقعية والفكرة الأساسية في الكتاب هي ان القيادة السورية تستخدم قراءتها للواقع المحلي والشرق اوسطي للاستفادة من الليات هذا الواقع لتحقيق المثل السياسي الاعلى دون تخلي عن المبدئية.

وفي لقاء مع القيس قال السفير فان دام:

يتسم الموقف السوري بأنه متسق ومتصل لم يتغير الكثير في موقف سوريا، لكن تغير الكثير في اوضاع وظروف المنطقة ويمكننا ان نقول ان السوريين - حكومة ورئيسا لم يتنازلوا عن اي من مبادئهم بالتفاوض مع الاسرائيليين فهم مستعدون للحوار في مدريد وبالشروط التي اعلنوها بل يمكننا القول ان المواقف التي اعلنوا عنها منذ اكثر من ١٥ عاما لم تتغير. ويمكننا ان نقول ان الرغبة في التعايش مضمرة منذ سنوات طويلة وعدم الافصاح عنها سببه الرغبة في عدم اضعاف مركزهم التفاوضي ازاء جهة احتلت اراضيهم ولكن عندما اعلنت اسرائيل قبولها لمبدأ «الأرض مقابل السلام» وجد السوريون انه من الممكن الاعلان عن الرغبة في التعايش صراحة.

● الى اي حد يمكننا ان نتحدث عن تغيير ما وعن ثبات ما؟
لو عدنا الى ما قبل حرب اكتوبر لوجدنا التغيير الاكيد فقبل تلك الحرب لم يكن هناك لا اعتراف ضمني ولا صريح بحدود اسرائيل. اذا امكن ان نسميها حدودا فاذا كانت اسرائيل نفسها لم تقر اين هي حدودها فكيف يمكن ان يعترف بها الآخرون.

العقبة والمفهوم

● ماهي بالضبط العقبة التي تجعل التقدم على المسار السوري - الاسرائيلي، دائما، اصعب من التقدم على غيره من المسارات؟

- عدم الاتفاق بوضوح على تعريف للسلام هو السبب في الشكوك التي تساور الاسرائيليين واذا انسحب الاسرائيليون قبل ان يكون واضحا ما يعنيه السوريون بالسلام فلن يكون بوسع الاسرائيليين ان يحددوا ما يمكن ان يترتب على انسحابهم فهل السلام هو العيش، دون حرب، مع اسرائيل؟ ام انه يعني، ايضا الافتتاح المتبادل للسفارات؟

في ١٩٦٧ كانت نقطة الانزلاق الى الحرب هي النقطة التي

تستهدف التحركات السلمية، الان هناك عودة اليها وهذا يساعدنا على فهم الموقف السوري الذي يطالب بسلام شامل اي ان انسحابا كاملا من الجولان يقابله اعتراف كامل من سوريا باسرائيل لا يحل المشكلة. بل يجب ان يكون الحل في اطار تسوية شاملة، تنسحب على كل اطراف ومسببات الصراع ولهذا فلا اعتقد ان انسحاب اسرائيل من الجولان وبقاها في لبنان يمثل حلا، بل الحل يجب ان يكون على المستويين

عندما زرت سوريا مع وزير خارجية هولندا في ١٩٨١ قال لي نائب الرئيس السوري وزير الخارجية انذاك عبدالحليم خدام: لن يجبرنا احد على الاعتراف باسرائيل، نعيش معهم. نعم، اما فتح سفارة فهذه مسألة تتعلق بالارادة الحرة، والقرار المتعلق بها قرار سيادي

من هنا يمكن ان نفهم ان استعداد السوريين للتعايش ليس ناتجا عن اقتناع بالسلام بل هو ناتج عن ادراك للضرورات واتفاق السلام بين سوريا واسرائيل لن يكون الانوعا من الاستجابة لمتطلبات الواقع الشعبي والقيادة في سوريا نشأ في جو قومي ويحتاج الامر الى وقت طويل، بعد كل هذه الحروب، لقبيل السوريين عاطفيا بفكرة الاعتراف باسرائيل واقامة علاقات كاملة و سلام كامل معها لكن ذلك لا يعني انهم سيجدون اسرائيل.

شعب محل شعب

وفي اوروبا مثال قد يكون مختلفا، نوعا ما، لكن من المفيد الاشارة اليه فالندين ولدوا بعد الحرب يظهرهم في بعض الاحيان تحيزا ضد الالمان رغم مرور خمسين عاما على الحرب ورغم ان ما حدث بيننا وبين الالمان لم يتضمن احلال شعب محل شعب آخر.

في الشرق الاوسط لم تتغير الحقائق ولكن اهل المنطقة يكيفون انفسهم نتيجة لواقعتهم ولهذا فإن الوضع الذي تتحرك باتجاهه مسارات السلام، وهو الوضع نفسه الذي انطلقت منه حرب ١٩٦٧، وهو وضع صعب بالنسبة للسوريين ولغيرهم، ومن الضروري ان نأخذ بهبطه.

السلام سلاح اقوى من الحرب

هل يمكن ان نرسم مسارا خطيا لهذا التحدي في الافكار والتصورات من بدايته؟

لقد اكتشفت شعوب الشرق الاوسط ان السلام سلاح اقوى من الحرب صحيح ان الاسرائيليين يخافون من تقديم اي تنازل ولكن الانجازات التي توصل اليها المصريون والاسرائيليون

السوريون يصرون على سلام شامل لتجنب الانزلاق لحرب جديدة

شجعت على تطوير فكرة السلام عند الاسرائيليين وبالتالي فان التقدم على المسارين الفلسطيني الاسرائيلي والاردني - الاسرائيلي من شأنه ان يشجع السوريين ويسهل عليهم التحرك باتجاه السلام ولكن في اطار شامل تدرج تحته ترتيبات في لبنان.

● ولكن تأثيرات المسار السلمي بالنسبة لسوريا لا يسهل رصدها بان نقصر كلامنا على شريكاتها العربيات، فهناك ايضا علاقتها المتميزة بإيران.

اذا تحدثنا عن تآثر العلاقات بين ايران وسوريا باحتمالات التقدم في اتجاه التسوية فيجب ان نتذكر ان مساندة ايران لسوريا في صراعها مع اسرائيل هي اساس علاقة دمشق بطهران ولهذا السبب لام السوريون العراقيين لانهم وجهوا طاقاتهم ضد طهران لا ضد تل ابيب. ولكن مع اختفاء فكرة «التعادل الاستراتيجي» مع اسرائيل تختلف علاقات دمشق بطهران، وان ظلت علاقة دمشق ببغداد تحدد مستقبل علاقة دمشق بطهران.

ويبقى ان نقول ان مصر وسوريا توطدت علاقتهما بدول الخليج عقب حرب تحرير الكويت، كما توطدت العلاقات بينهما بين سوريا ومصر على اساس عملي متافسنة متعددة.

● هل هذه العلاقات الاقليمية التي اشرت اليها يمكن ان تدفع على حالها في مواجهة «عواصف السلام» القادم هناك من بحر بقوة من اخطار الانفتاح على اسرائيل.

هناك منالعة في قدرات اسرائيل والانفتاح الذي سيتربط على السلام سيكون لصالح الجميع خاصة وانه سيكون

انفتاحا على العالم كله وليس على اسرائيل وحدها ولين يكون بوسع اسرائيل ان تنافس كل دول الشرق الاوسط بل انه من الضروري ان تشير الى ان المنافسة ستدخل فيها ايضا دول اوروبا وستجد دول الشرق الاوسط لدى دول الشرق

الاقصى ولدى اوروبا ما لا يمكن ان تجده في اسرائيل ويجب ان نتذكر ان اقتصاد اسرائيل قائم على الحماية واذا طالبوا العرب بفتح اسواقهم ليصدر اليها المنتج الاسرائيلي فستطالب العرب هم الآخرون بفتح اسواق اسرائيل امام منتجاتهم

وستبقى لدى كل طرف الحرية في ان يخلق حدوده او يفتتحها على اساس مبدأ المعاملة بالمثل.

القاهرة - القبر